مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 9 العدد 1ب، 2012، ص ص 335- 357

النهضة العربية: دراسة في القومية العربية من خلال جريدة القبلة (1334-1343هـ) (1916-1924م)

أحمد جوارنة وجبر محمد الخطيب*

ملخص

لعبت جريدة القبلة التي كانت قد صدرت في الحجاز باسم النهضة العربية بأمر من الشريف الحسين بن علي، دورا بارزا ومميزا في نشر الوعي الديني والقومي في الوسط العربي في مطلع القرن العشرين، وعليه فإن هذه الدراسة تسعى للإجابة على التساؤلات التالية:

1- كيف وظفت الجريدة الربط بين العروبة والإسلام في سبيل نشر الوعي القومي والديني العربي؟

2- ما هي الدوافع التي دفعت بالجريدة لربط العرب بتاريخهم القديم وصولا الى الثورة العربية الكبرى؟

3- لماذا اتجهت جريدة القبلة نحو إبراز أمجاد العرب مع تأكيدها على أن العروبة لا تتنافى مع روح الإسلام؟

تقديم

بدا الوعي السياسي عند العرب مع بداية نهضتهم الفكرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،وبرز الفكر القومي العربي بشكل واضح على سطح العلاقات العربية العثمانية في المشرق العربي الخاضع للحكم العثماني،وتطور نتيجة لنمو النشاط السياسي والفكري، وأحدث الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م تغيرًا في تفكير العرب السياسي وبخاصة المتنورين منهم، وكانت الظروف مهيأة لذلك بسبب ضعف الدولة العثمانية، والهجمة الاستعمارية على الوطن العربي، وممارسة الاتحاديين سياسة التتريك،وهذه الأسباب حملت المتنورين العرب على تأسيس الجمعيات العلنية ثم السرية، وعقد المؤتمرات داخل الدولة وخارجها.

وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية في 5تشرين الثاني 1914م إلى جانب ألمانيا والنمسا ضد دول الحلفاء: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا بدأ العرب وبخاصة المتنورين منهم

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2012.

* قسم التاريخ، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

بالتفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية، وتشكيل دولة عربية موحدة،والبحث عن زعيم عربي لقيادة الثورة على ضوء ذلك تم الاتصال بالشريف الحسين بن علي الذي تزعم الحركة العربية.

بعد حصول الشريف الحسين على الضمانات من بريطانيا بدعم استقلال العرب،أطلق الرصاصة الأولى في 9شعبان 1334ه/10 حزيران 1916م، وأسس جريدة القبلة لتكون ناطقة باسم النهضة العربية، وميداناً لأحرار العرب وأعضاء الجمعيات لطرح أفكارهم القومية والوحدوية.

التعريف بالمصدر:

القبلة: جريده حجازية رسمية ناطقة باسم النهضة العربية، أصدرها الشريف حسين بن علي بعد قيام النهضة العربية. كانت تصدر من قلعة اجياد في مكة المكرمة مرتين في الأسبوع الاثنين والخميس في أربع صفحات لكل عدد، وكان معدل صدورها مئة عدد سنوياً.

صدر العدد الأول للجريدة في يوم الاثنين 15 شوال 1334هـ الموافق 15 آب 1916م، واستمرت الجريدة بالصدور مدة ثمانية أعوام وأربعين يوماً تقريباً، وكان آخر أعدادها العدد (823) ألمؤرخه في 25 صفر 1343هـ الموافق 25 أيلول 1924 حيث توقفت عن الصدور على اثر القتال الذي نشب بين الحجاز ونجد ودخول القوات النجدية إلى مكة المكرمة.

اتخذ الشريف حسين اسم القبلة من الآية الكريمة "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم"[3] وروست الجريدة بهذه الآية في أعلى صفحاتها منذ العدد الأول حتى العدد "110" حيث حذفت بعد ذلك وبررت الجريدة ذلك حفاظاً على الآية الكريمة لأن القارئ يرمي الجريدة بعد قراءتها.

تناولت القبلة المواضيع السياسية والدينية والاجتماعية وعبرت عن نفسها منذ عددها الأول بأنها جريدة "دينية سياسية اجتماعية" وحمل العدد الثاني وما بعده شعاراً للجريدة بأنها "لخدمة الإسلام والعرب" وهذا الشعار كان يعكس الفكر السياسي للشريف حسين بن علي والقوميين العرب في تلك الفترة.[2]

إدارة الجريدة: تولى إدارة الجريدة محب الدين الخطيب من 15 آب 1916 -27 أيلول 1920م، وظهر اسمه على الجريدة منذ العدد الثاني تحت اسم "مدير الجريدة المسؤول" بعد أن طلبه الشريف حسين للعمل فيها في تموز 1916م، واستمر الخطيب مديراً للجريدة وظل اسمه عليها حتى العدد (419) ثم حل محله حسن الصبّان وهو من المغرب وكان يقيم في الحجاز وظل مديراً للجريدة حتى توقفت عن العمل في 25 أيار 1924م.

أهمية الجريدة: تعتبر القبلة من الوثائق المهمة المعاصرة لفترة الدراسة، وتأتي أهميتها من قلة الاعتماد عليها من قبل الباحثين والدارسين الذين كتبوا عن النهضة العربية والشريف حسين وعن الجزيرة العربية خلال فترة الدراسة.

العروبة والإسلام ومقاومة سياسة التتريك:

ربطت القبلة في إعدادها بين العروبة والإسلام[3]،لأهميتها في البناء الفكري للقومية العربية، وهاجمت سياسة التتريك التي اتبعتها جمعية الاتحاد والترقي ضد العرب، وإن أمراء العرب اتجهوا بأنظارهم إلى الحجاز "لأن أهله هم أهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور من قديم الزمان"[4]، ولأن الحجاز يتمتع بنوع خاص من الاستقلال الإداري، فبايعوا الشريف حسين الذي "غضب لدينه الذي عبث به الاتحاديون ولقومه الذين أهانهم الظالمون، فطهر الإسلام من رجس أولئك الزنادقة وجمع الشمل الذي فرقوه، وأعز ذلك الشرع الذي أهانوه"[5]. وإن العرب "لا يقاتلون الترك ولا غيرهم من الممالك العثمانية وإنما يحاربون حزباً طاغياً ضرب الله على سمعه وختم على قلبه، فهو خليط من الجهالات وراكب عشوات"[6].

فالعرب قبلوا بحكم الدولة العثمانية لحرصهم على الوحدة الإسلامية وإيثارهم المصلحة العمومية ولأن العثمانيين حكموا الدولة حكماً إسلامياً، ولم يخرجوا عن الدين ("ولعمري إن في صبرهم على ذلك المضض لبرهاناً ساطعاً على حرصهم على الوحدة الإسلامية") وبررت القبلة الثورة على الاتحاديين لخروجهم عن الدين والشرع القويم "إن المملكة العثمانية وأأسفاه أفضت إلى فئة طاش بها الغرور.... وشنت على الإسلام حرباً عواناً في كل أعمالها"[7]، فالعرب لم يفكروا بالانفصال عن الدولة العثمانية حرصاً منهم على الوحدة الإسلامية، لكن زج الاتحاديون الدولة في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، أصبحت هذه الدولة الإسلامية تحت سيطرة ألمانيا فقام العرب عن بكرة أبيهم للدفاع عن حوضهم وعن كيانهم لأنه ليس فيهم مسلم يرضى بالحكم الأجنبي[8].

واستندت القبلة في انتقاد الاتحاديين بخروجهم عن الشرع الإسلامي على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فهم كافرون، قال تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[9]، فترى القبلة بعد هذه الآيات أن خروج الاتحاديين عن الشرع لا يحق لهم بأن يزعموا بأنهم مؤمنون[10]، وفي الثورة على الاتحاديين يتفق مع الفقه الإسلامي الذي يقول بشرعية السلطة على أساس التفويض ما دامت تطبق الشريعة وتحمي البلاد الإسلامية، ولكن مخالفة الاتحاديين للشريعة وتنكرهم للغة العربية (لغة القرآن) أوجب خروج العرب على الدولة العثمانية وهي دولة إسلامية من منطلق إسلامي[11].

وبينت القبلة أن الثورة من أجل الإسلام والعرب "فمهلاً يا بني الإسلام أما والله إن الوثبة واجبة والنهضة فرض.... فإنكم تحاربون من أجل الوطن والعرب بل من أجل كل مسلم.... أيها العرب كونوا عرباً وكفى"[12].

فالنهضة العربية كانت ضد الاتحاديين وليس ضد الخليفة العثماني وآل عثمان وفي هذا السياق يؤكد الملك حسين في خطاب له بقوله: "أنتم تعلمون حق العلم أني لا أريد أن أحرضكم على خاندان آل عثمان، فإنهم قوم قد عرفوا ما لهذه البلاد من واجب الحرمة فافتخروا بخدمتها، ونحن أيضاً وخصوصاً بيننا وعلى الأخص أنا بالذات فقد قابلنا ذلك بما ينبغي بالنظر لما كان بيننا وبين الدولة العثمانية من رابطة الدين ولكن ليس بينكم من يجهل أن الأمر في الدولة، الآن ليس في يد أحد من بني عثمان، بل هو قد خرج من أيديهم إلى أناس آخرين، لا يعرفون قيمة تلك الرابطة،ولا يرقبون في الأمة إلاً ولا ذمة"[13]،

ونشرت القبلة للحسين بأن النهضة على الاتحاديين، لأنهم أصبحوا يشكلون خطراً على العرب والإسلام بقوله "لعلكم علمتم يا أبنائي أنني لم أقم مع أهل بلادنا بما قمنا به، إلا بعد العلم بأن هؤلاء القوم -أي الاتحاديين- أصبحوا خطراً علينا في ديننا ودنيانا؛ لأنهم سلكوا في كلا الأمرين طريقاً يخالف طريقنا ويهدد مصالحنا وكياننا"[14].

وأشارت القبلة إلى خطاب الحسين إلى أنه اختار مقاومة الاتحاديين من أجل دينه وقومه وبلاده فقال: " وإما أجنح بكم إلى هذا السبيل الذي سلكته فأصون ديني من عبث العابثين، وأصد عن قومي وبلادي عادية المعتدين السفاحين، وهو أسلم عافية وأهون شراً وأقل خطر" وفي نهاية خطابه أشار إلى أنه استخار الله في هذا الطريق فوفقه الله لذلك[15].

وبعد تحقيق النصر الذي أحرزه الأمير فيصل في الشمال، وصفت القبلة الانتصارات التي حققوها بأنها من أجل إعلاء الوطن العزيز وكيانهم الديني والقومي "فطربت لها القلوب فرحاً وسروراً" ووصف هذه الانتصارات بالواجب المقدس: "أبنائي البواسل إنكم لن تجدوا بعد اليوم موقفاً هو أقرب إلى الله وأدنى إلى رحمته وإحسانه، من موقفكم الذي أنتم فيه إذ أنكم تدافعون عن وطن يشكو إلى الله قوماً أضاعوه وأنصاراً خذلوه"[16].

والربط بين العروبة والإسلام واضح في خطابات الشريف، ففي هذا الخطاب بيّن الملك أن الثورة كانت للدفاع عن الإسلام ثم طالب الحكومة الفرنسية بأن تكون عوناً للدولة العربية الجديدة.

وفي خطاب آخر موجه للجند، ركز الشريف على العروبة "وإن ما بذلتموه حتى الآن وما ستبذلونه فيما بعد من الحمية العربية والهمم الشماء العدنانية في سبيل القيام بالواجب المقدس

اتجاه كيانكم وإثبات وجودكم من طرد أعدائكم وأعداء الشهامة والشيم العربية في عقر داركم قد جاء مصداقاً لما كنا نترقبه ونتوخاه منكم"، ثم يعود للربط بين العروبة والإسلام، وحث الجند على الاستشهاد في سبيل الله، "فالبدار البدار إلى استكمال مهمتكم.... حتى يكون تاريخكم عزة في جبين الدهر وذكركم مسطراً بمداد" "فالله الله في إنقاذ أخوانكم.... إنكم إن تحسنوا إليهم تحسنوا لأنفسكم، وأن تنقذوهم تنقذوا جامعتكم وقومكم" وفي نهاية الخطاب أوصى الحسين الجند باتباع سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والشريعة الغراء[17].

وأكدت أعداد جريدة القبلة على العروبة والإسلام والربط بينهما، فقد جعلت رسالتها خدمة الإسلام والعرب "وهذا ما يراه قراؤنا تحت اسم جريدتنا من أنها أسست لخدمة الإسلام والعرب" فالإسلام مجموعة فضائل أخلاقية عدى عليها أعداؤها التورانيون باسم الإسلام فمن الواجب على العرب الذي يرتبط عز الإسلام بعزهم أن يقاوموا الذين أضاعوا "مجداً مؤثلاً ونظاماً خالداً وعيشة هنيئة لكل عناصر الأمة ضمنها الإسلام إليها، وأفسدها عليهم أعدائها وأعداؤهم[18]

والربط بين العروبة والإسلام ليس غريبًا -فالبعض يرى أن الرابطة الدينية والجنسية غريبتان عن بعضهما- لأن اللغة العربية والدين الإسلامي يكادان أن يكونا توأمين، والعرب ثالث هذه الثلاثة من شدة بينهما[19].

وخطاب القبلة الموجه لرجال النهضة خطاب عروبي إسلامي "أي إعلام الفضل في الأعصر، جهابذة المجد والعنصر نجباء عدنان وقحطان أهل لغة القرآن ومن لحقوا سراة أهل الإيمان..... فليحيى العرب جميعاً والإسلام عموماً[20]

بها ليل في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

وخدمة الإسلام في القبلة تأتي عن طريق نهضة العرب وعزتهم، فإذا رغب المسلمون في أن يحافظوا على الأمانة التي أودعت لديهم فالواجب عليهم أن يقوموا بإحياء البلاد العربية، وبينت القبلة أن أي دولة نشأت للمسلمين في أي بقعة من بقاع الأرض وفي أي زمن، إذا لم يكن العرب أساس الدولة، "وأركان بنائها وعمد صروحها، ومديري أمورها ومديري حركتها واليد العاملة فيها والقوة التي ترتكز عليها والروح التي تسري في مفاصلها والأمل الذي تتفرع منه أغصانها وتنمو عليه أفنانها" فهي بلا شك دولة لن تدوم ولن تستمر ولا يعتز بها الإسلام[21]

والنهضة العربية تسعى وراء خدمة الإسلام في جميع الأقطار وتعمل من أجل خدمة الإسلام وتقدم المسلمين، وفي المقابل ايضاً تسعى لإعلاء شأن الأمة العربية بين الأمم[22].

وفي هذا السياق أكد الأمير عبدالله هدف النهضة بقوله: "والنهضة العربية التي قام بها والدي ومن معه من عظماء الحجاز، وبانتقاء علمائهم وانضمام عظماء الشام والعراق إليهم، كانت نهضة حق للدفاع عن الإسلام، ثم لتبوء العرب المقام الذي خصهم الله به، قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"[23][24].

ورأى الحسين أن النهضة العربية لنهضة العرب. وقد عبر في كتاب إلى الشيخ علي الغاياتي[25]: "إننا لم نقصد بنهضتنا هذه غير خدمة الإسلام والعرب لما تحقق لنا من نيات الاتحاديين السيئة نحو كليهما"[26]، وفي جواب للشريف حسين على برقية بعض المسلمين في الهند ربط الحسين عزّ العرب بعزّ الإسلام: "تضاعف عجزي عن شكر الباري من بعث برقيتكم العالية التي لا يستكثر على كمالات فضائلكم ما لها المؤسس اقله على ما في معنى: إذا عزّ العرب عزّ الإسلام"[27].

الاعتزاز باللغة العربية والتاريخ العربي:

اعتزت القبلة بالعروبة، بعدما اعتبرت جمعية الاتحاد والترقي رياح القومية التي هبت على المنطقة بعد إعلان الدستور، حقًا للحركة الطورانية وحدها دون غيرها من القوميات في الدولة العثمانية، فكان لابد من التفاف العرب حول هويتهم العربية، وأكدت القبلة في صفحاتها على الاعتزاز بالعروبة وتاريخ العرب واللغة العربية.

وتساءلت القبلة هل كانت دعوة شريف مكة نتيجة نزاع بين العناصر في الدولة؟ وكان الجواب كلا لأن العنصر التركي أي الأمة التركية لم تقل بحرمان العناصر الأخرى من مشاركتها في الحكم والتمتع بخيرات البلاد ولكن الذين تولوا السلطة في الدولة صبغوا أنفسهم بصبغة العنصرية الطورانية[28].

"فالعرب قوم لهم أول المجد وآخره، وباطن الفضل وظاهره، أعلامهم في الكون منشودة، وأيامهم في عددهم مشهودة، فأعظم بشأنهم وأكبر، وأسمع بهم وأبصر"[29] وكما قال الشاعر:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وحفلت صفحات القبلة بالتأكيد على العروبة وعلى الاتجاه القومي، فنشرت رسالة عنوانها (نيل الأرب في فضل العرب) متسلسلة في إعدادها، جمع فيها مؤلفها جميل العظم[30] ما روي في كتب السنة وكلام الأئمة في فضل العرب ودحض مزاعم أعدائهم[31].

وفي رد القبلة على الشعوبيين أوضحت بأنه لا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الشريفة كلمة تنزيلية أو تأويلية تشير إلى الحط من أقدار العرب وتفضيل غيرهم عليهم[32]والعرب في القبلة أمة عريقة لها تاريخ وحضارة يعرفهما العالم أجمع[33]، إنه أعظم تاريخ، ويرجع أحد الكتاب –لم يذكر اسمه بل ذكر بأنه مؤرخ إسلامي كبير في مصر- في القبلة إلى تاريخ العرب ويستعرض الدول والحضارات التي كانت قبل الإسلام من الدولة البابلية وهي من العرب، أسسها حمورابي "وهو عربي ودولته عربية" كما ذهب الكاتب إلى القول بأن الدولة الثانية والعشرين التي حكمت مصر من قبل ثلاث آلاف سنة كان ملوكها من "أصل أشوري والأشوريون إخوان البابليين فهي تعد لذلك عربية"، وهكذا يقال عن دولة الحوارث في الشام والأذينية في تدمر والغساسنة والتنوخيين، ثم دول عرب الجنوب السبئية والحميرية[34] .

وخلصت القبلة إلى القول: إن العربي الذي لا يعرف تاريخ أجداده وسيرة قومه وكيف انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها ونشروا العلم والعمران، ليبكي دماً ويتمنى لو أن الأرض انشقت وغار فيها، لقد "ورث العرب عن آبائهم ملكاً ضخماً وسلطاناً عظيماً"[35]. وأشارت إلى أن العرب حتى في صميم الجاهلية حافظوا على أنسابهم، ولم يفقدوا استقلالهم، حتى إن الغزاة فشلوا في اختراق جزيرتهم ولم يخضعوا في أدوار كلها لحاكم غير عربي[36]، كما أشارت إلى واقعة ذي قار التي أبلى فيها العرب بلاءً حسناً قبل الإسلام، وأكدت استمرار الثورة رغم ما قيل عنها من أنها نار تخلف رمادا[37]حتى إن العلم الذي اختارته النهضة العربية كان ذا دلالات تاريخية عربية من خلال المرسوم الذي أصدره الملك حسين[38] .

وخاطبت القبلة المقاتلين العرب وشدت على أيديهم "فأنتم البقية الصالحة والخلف المبارك وأرواح أجدادكم ترف من حولكم ويد الله تشد أزركم، ونفحات نبيكم تعبق في أردانكم، أن النهضة العربية اليوم وطنية قومية وعربية ملية[39]، وطالبت باتباع طريقة الأجداد والسلف الصالح: "فكيف نثبت للملأ المشرئبين إلينا، أننا من سلالة أولئك السادة الأماجد، إن لم نفر فريهم ولم نفعل شرواهم؟ أليست الدماء التي في عروقنا منحدرة منهم إلينا؟.... اعملوا لله وللتاريخ، بل لأنفسكم وأحفادكم وبلادكم... فالسلام عليكم وعلى كل عربي ناطق بالضاد.... يصيح في وجوه الجامدين نحن أمة حرة وشعب مستقل، كذا كنا وكذلك نكون"[40].

والأمة العربية في القبلة لها تاريخ حافل وحضارة مجيدة، أمة حافظت على تاريخها الطويل "يا بني يعرب وقحطان إلى العمل.... في سبيل تاريخكم وتقاليدكم[41] .

وحثت القبلة العرب للمحافظة على لغتهم وخاطبت بني قحطان وعدنان لأنها لغة أجدادهم فهي "أجزل اللغات وأوسعها مجالاً وأحكمها استعمالاً لا يذهب مر العشي بلاستها ولا يعبث كرّ

الغداة بطلاوتها ولقد طاحت دول وباءت ملل فاستسرت لغاتها وعفت آياتها" وطالبت العرب بالدفاع عنها لأنها مفخرة لكل عربي[42] فالعربي في لغتنا الخالدة آية مجد لا تنسخها الأيام، وكنز فخار لا تفنيه الأعوام، فما بالك إذا كان لنا مع هذه اللغة تاريخ يفصح الشمس وعلا النفس[43].

وذكّرت القبلة بـ "سوق عكاظ" في دعوة منها للتمسك بالوحدة الجنسية[*] والمفاخرة باللغة العربية، والمحافظة عليها لأنها لغة الأجداد، وافتخرت القبلة باللغة العربية لأنها لغة القرآن التي نزل بها ليعبّر عن صادق مشاعر الأمة العربية[44].

وبعد دخول الأمير فيصل دمشق، استقبل الملك حسين الأعيان وأعضاء حكومته، وحضر عدد من السوريين المقيمين في مكة، وخطب الملك فيهم فبين الغاية من النهضة لإحياء البلاد ورحمة بالعباد، ومن أجل نصرة قومه، وإنقاذ أوطانهم، وإرضاء لعربه، وأكد الملك المساواة بين أفراد الأمة "أوكد لكم يا أبنائي أنه لا فرق عندي بين أحد من بني قومي مهما اختلفت أوطانهم فهم جميعاً في نظري بمنزلة الأشخاص المقيمين معي في هذا المنزل وتحت هذا السقف" وأضاف الملك مؤكدا على التسامح "وإني إذ ذكرت أبناء سوريا فلا أفرق بين أحد منهم بمذهب أو غيرهم بل كلهم في نظري سواء[45].

كما أكدت القبلة على أن الروح القومية أصيلة في العرب منذ العصر الجاهلي وإلى أن اللغة العربية أساس الذات القومية[46]، "إن الأمة العربية ترجع إلى أصل واحد، وتتكلم بلغة واحدة، وهذا من أهم دواعي اجتماع الأمم"، ولا يرى في اختلاف الأديان عقبه في سبيل الجامعة لأن الدعوة جنسية عنصرية (أي قومية) [47].

وعلقت القبلة على هذا الخطاب موضحة طبيعته القومية في إطار الاتجاه العربي الإسلامي، والقومية نوعان: نوع لا ينافي روح الدين ولا يخالف أوامره، ويهدف إلى إيجاد الاتحاد والتآخي وإحياء روح التضامن والتعاضد بين أفراد الأمة، ولا يتجاوز إلحاق الضرر بالغير، وهذا هو النوع الذي تدعو إليه القبلة، وقامت على أساسه الدول العربية في صدر الإسلام، أما النوع الآخر فهو الغرض منه إحياء العصبيات الباطلة وهذا النوع نهى الدين عنه، ويدعو إليه الاتحاديون تقليداً للألمان[48].

واهتمت القبلة بنشر قصائد للشعراء العرب يعتزون فيها بالقومية العربية والتغني بأمجاد العرب[49].

وبعد أن كانت العروبة غير مقبولة وظنها البعض بأنها منافية للإسلام، كرست القبلة صفحاتها واكدتّ ان العروبة حق مقدس يجب أن يعتز بها كلّ عربي، ولا تتناقض مع الإسلام.

وكان الشريف حسين واضحاً في خطاباته في هذا السياق، مؤكداً أن القومية العربية تتماشى مع الإسلام، بعكس القومية الطورانية التي تسعى لاستعباد الغير، فهي مرفوضة دينياً، ففي خطاب للشريف حسين في موسم الحج بمنى في 10 ذي الحجة 1334 هـ /تشرين الأول 1916م، رداً على خطبة للشيخ رشيد رضا، فبعد أن أوضح أنه لم ينهض رغبة في الدنيا ولا من أجل الجاه مؤكداً أنه لو أراد الجاه لحصل عليه، ولكنه فضل احتمال العناء رغبة منه في الدفاع عن الكيان الإسلامي المهدد من الداخل والخارج بعد دخول الدولة الحرب، وأكد أنه مستعد لأن يضع يده في يد أي رجل تتفق عليه الأمة فيه الكفاية، وأضاف بأنه متفائل بنتيجة النصر والحصول على الاستقلال ولن يسمح لأحد أن يقف أمام هذه النهضة "وأني ماضٍ في سبيلي، ولو أن هذا العمل الذي أعتقد فيه كل الصلاح لقومي وبلادي وديني، يعترضه أحد بسوء ولو كان أحد أولادي لصلبته بيدي غير آسف عليه، لأني أحب قومي وبلادي وديني أكثر من أي شيء في هذا الوجود، ولولا هذه المحبة لما نهضت هذه النهضة، ولا غضبت هذه الغضبة وسأبقى مستمراً في خطتي غير متزعزع فيها ولا متحولاً عنها، حتى يقضي الله أمري، ولينصرن الله من ينصره" وفي نهاية الخطاب أكد أن النهضة تشمل كل عربي كائناً من كان شرط أن يكون صادقاً لوطنه مخلصاً لقومه[50].

وفي خطاب آخر في15ذي الحجة1334هـ / 30 تشرين الأول 1916م صرّح بقوله: "لقد كان القصد من هذه النهضة إرضاء الله تعالى وإعطاء القومية العربية حقها من الخدمة بإنقاذ بنيها وحفظ أوطانها، وإن إذعان العرب لقوميتهم من أخص مآثرهم وأقدم سجاياهم، فهم من عشاق الاستقلال القومي من قبل ومن بعد"[51].

و القومية عند الشريف تظهر دائماً من الفطرة التي فطر عليها وتربى في حب العرب والتفاني في سبيلهم، وهذا واضح من خلال رد الشريف على قصيدة لأحد الضباط العرب يصف فيها امرأة عربية هي وأولادها تتضور جوعاً وخوفاً، فقال: (لبيك يا ابنة الشم العدانيين، لبيك يا ابنة الأماجد الأقدمين، لبيك يا ابنة من عرف شهامتهم ونخوتهم، أهل الأرضيين، يرحم الله المعتصم، وأيم الله ايتها النجيبة إني لست بدونه حدا ولا جلما، ولكن أقعدني عنك ما لو اهتم به جزءٌ من مهام شؤونكم لأقعد كاهل أمثاله، ولكن هاهو ابن جدك وأحد أفلاذ كبدي يقود مقدمات سراة قومك، ولسان حاله يقول: أجالدهم دون (الطفيلة) (*) جاسراً كأن يدي بالسيف محرق لاعب[52]

وهذا الحس القومي هو الذي دعا الشريف للقيام بالنهضة. "أجبرنا الشعور والحس الذي لاحاجة لذكره.... حرصنا على الأساس الذي أقامنا وأقعدنا واستهنا في سبيله بذل المهج والأرواح، إجابة لصريخ القومية ونداء أبنائها عندما اختصتنا واختارتنا لمستعرفها دون سوانا من

الأماثل، وقصدنا بداعيها من بين الأمراء والأعيان والأفاضل، فأجبنا داعيها، وشاركنا ناعيها.... بذلنا وأرخصنا المهج والأرواح في سبيل تلك الغايات الكريمة وشرفها الديني والقومي[53]

اختلاف الدين لا يؤثر على الرابطة القومية:

الجامعة القومية في فكر الملك حسين تهدف إلى جمع كلمة العرب دون تمييز وهذا ما صرح به في رسالته للشيخ علي الغاياتي ".... فليس مثار حركتنا وقيامنا غير مصلحة وكيان جامعة محض بلادنا العربية بدون تفريق في المذهب، هذه هي الغاية القصوى دون سواها".

وإن النهضة لكل العرب دون تمييز بينهم، وكان يسعى من وراء ذلك إلى كسب العرب من غير المسلمين، كما أكد الملك هذا المعنى في خطابه الموجه إلى أبناء سوريا: "وطالما قلت أن العرب عرب قبل أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين أو موسويين" وحدّد الملك في هذا الخطاب من هو العربي، "والعربي يستحيل عليه أن يصير جاوياً أو يونانياً"، وأكد بأن تاريخهم أثبت بأن اختلاف الدين لا يمكن أن يكون سبباً لهضم حقهم"[54].

وكان الحسين يؤكد أن العروبة قبل الإسلام "منذ كم ونحن مسلمون؟ ومنذ كم ونحن عرب؟: إذاً نحن عرب قبل أن تكونوا مسلمين"[55]وهذه الكلمات تؤكد على ما كان يتمتع به الحسين من أصالة الرأي، وبعد النظر والتسامح الديني، بين أبناء قومه ووطنه، فهو حريص على جمع الكلمة ونبذ الفرقة بين أفراد شعبه.

وسارت القبلة في صفحاتها على هذا النهج، مؤكدة على التسامح الديني مبتعدة عن التفرقة بين الديانات، وأن الإسلام قوى هذه الرابطة بصلة المصاهرة، فأباح للمسلم أن يتزوج من المسيحية أو اليهودية مع بقائها على عقيدتها وأدائها فروض عبادتها وذهابها إلى كنيستها وأن يعهد إليها ببيته وأولاده ونفسه ولم يفرق في شيء من الحقوق بينهما فأي صلة أعظم مما يكون بين أقارب الزوج والزوجة. وأكدت القبلة على أن المملكة الهاشمية قامت على هذا الأساس[56]ونشرت القبلة مقالات وأشعاراً لبعض العرب من غير المسلمين أكدوا فيها الاعتزاز بكل عربي مهما كان مذهبه وديانته.

فكتب جبران خليل جبران: "أنا مسيحي ولي فخر بذلك، ولكنني أهوى النبي العربي وأكبر اسمه وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله، أنا أجل القرآن ولكنني أزدري بمن يتخذ القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين، كما أنني أمتهن الذين يتخذون الإنجيل وسيلة للحكم برقاب المسيحيين"[57]

وأنشد بعض المسيحيين يتغنون بعيد المولد النبوي فقال جرجي حداد[58]

ذودوا عن اللغة التي وردت بها آي الكتاب وأنزلت تنزيلا[59]

وقال عباس أبو شقرا[60]

أبناء يعرب أين مجد جدودكم وجحودكم لعلائم آثام

أبناء يعرب أين كل حقوقكم أو ترضخون وفوقها الإقدام

ماجا في أحد وصايا (المصطفى) إن الخلائق بعده أعجام[16]

وفي ذلك تحاول القبلة تعزيز النهج القومي الذي لا يفرق بين العرب من أجل جمع الكلمة والابتعاد عن التفرقة.

الاستقلال والوحدة العربية:

انتهت الحرب العالمية الأولى لصالح الحلفاء في 11 تشرين الثاني 1918م وتوجهت أنظار العرب والحسين نحو بريطانيا للوفاء بوعودها أثناء الحرب ولكن الحلفاء بدأوا بنقض العهود التي تعهدوا بها للحسين وللعرب، وأخذت جريدة القبلة من خلال مقالاتها تركز على العروبة، وحث العرب على الوحدة وتوحيد الكلمة، وتراص الصفوف.

ونلاحظ في هذه الفترة اتجاه الحسين والقبلة اتجاهاً عروبياً، بالتركيز على العروبة والعرب والبلاد العربية والاستقلال التام والوحدة العربية.

وأكدت القبلة على القومية والاستقلال في هذه الفترة فبينت أن "إذعان العرب لقوميتهم من أخص مآثرهم وأقدم سجاياهم فهم عشاق الاستقلال القومي من قبل ومن بعد"[61] وتظهر لدى الحسين والقبلة نبرة عروبية أكثر وضوحاً فالقبلة تهتز طرباً بدخول العرب دمشق ورفع العلم العربي" كيف لا نهتز طرباً لذكرى يوم ستكتب بأحرف ذهبية بارزة في تاريخنا خفقت فيه على أسوار دمشق ذلك العلم العربي الذي يحمل بين طياته مشكاة ماضينا ومرآة مستقبلنا"[62].

وأشادت القبلة بالشهداء العرب الذين ضحوا بدمائهم من أجل عز الوطن، وفي سبيل الأمة، لأن التاريخ سوف يحفظ لهم هذه الذكرى، وكانت أماني القبلة بعد الحرب كبيرة "لقد طلع فجر الآمال ومالت أضواؤه في شعاب النفوس، وانبثق فجر الأماني وفاض لألأه على مسالك الأفئدة وثنايا القلوب"[63].

وحصول الأمة العربية على الاستقلال له في القبلة لذة "بعد أن ذاقت الأمة مرارة الاستعباد بدماء أبنائها" وبذلك فقد انقضى دور التخريب والتدمير وجاء دور التعمير والتجديد، وبينت القبلة بأن هذا العهد هو عهد العمران والسلام في العالم بعد عودة المياه إلى مجاريها[64].

وناشدت القبلة الأمة العربية بالعمل والمثابرة والتحلي بالأخلاق الحسنة حتى تصل الأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية[65] وحثت القبلة العرب على العلم لأنه الوسيلة الأولى لولوج ميدان الحياة ومن أجل تقدم الأمة العربية[66].

وأكدت على الرابطة القومية "إذا كانت هذه الحرب قد أفقدتنا كثيراً من رجالنا، وعرضت أمراءنا وكبراءنا للأخطار في ميادين القتال... فإنها قد أيدت استقلالنا ووطدت دعائمه، وأعادت ملكاً مضاعاً، وحقاً مسلوباً، إذا كانت قد أماتت بعض رجالنا إلاّ أنها أحيت ميت آمالانا وأيقظت أمانينا القومية، ومكنت روابطنا العنصرية فأصبحنا بحمد الله إخواناً على اختلاف أديانا وتعدد مذاهبنا تجمعنا جامعة واحدة[67].

وركزت القبلة على الجامعة القومية والوطنية "إن للوطنية والقومية واجبات يحتم على كل شخص حر يعلم لا حياة له إلاّ بتحقيق جامعة قومية ينتمي إليها"[68] والقومية التي تنشدها القبلة، هي قومية لا تتعارض مع الإسلام، بل إنها تتماشى مع الإسلام[69]، وكان لمدير الجريدة أثر في إظهار القومية والوطنية فكان محب الدين الخطيب مديراً للجريدة وقد أيده في دعوته عدد كبير من أحرار العرب الذين شاركوا في تحرير الجريدة، غير أن كتابات الخطيب والحزبيين منهم كانت مميزة لأنها تنبع من إيمانهم بضرورة الثورة، ومن إيمانهم بأهداف التنظيمات العربية السرية والعلنية مثل: جمعية العربية الفتاة وجمعية الجامعة العربية وحزب اللامركزية[70]. واهتمت القبلة في هذه الفترة بالوحدة العربية وشكل الدولة العربية والحكم. ونشرت القبلة على صفحاتها هذه العناوين.

وخاضت القبلة أيضاً في موضوع الرئيس ومركز العاصمة. فبينت القبلة أن الملك حسين لا يعارض أي مركز تختاره الأمة العربية ليكون عاصمة للدولة العربية[71]. وأوضحت بأن الملك حسين لا يهمه تعيين المركز أو الرئيس، وإنه لحق عليه يحيا وعليه يموت[72].

وأوضحت القبلة بأن الاتحاد روح الحياة، لأنه الأساس الوحيد الذي تقوم عليه سائر أسبابها: "فإلى الأمام يا بني يعرب وقحطان إلى الأمام في سبيل توحيد الكلمة في سبيل السعادة والمجد والشرف لتعيدوا مجد أسلافكم وتخلفوهم بإحياء تلك المدينة الحقة.[73]

واهتمت القبلة بنشر البرقيات الواردة إلى الملك حسين من السوريين في المهجر ومن سوريا تطالب بالوحدة تحت الحكم الهاشمي.[74]

وأخذت القبلة تحث العرب للدفاع عن بلادهم وأوطانهم "فالحياة كفاح وجهاد ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر" وذكّرت القبلة الصهيونيين ببيت الشعر التالي[75]

بلادي وإن جارت علي عزيزة ولو أنني أعرى بها وأجوع
في كف ضرغام إذا بسطتها بها أشتري يوم الوغى وأبيع
أأتركها تحت الرهان وابتغي بها بدلاً؟! إني إذاً لرقيع

ودافعت القبلة عن الأمير فيصل بعد أن صرّح عوني عبدالهادي[76] لبعض الصحف لما زعمه المستر تشرشل في البرلمان البريطاني من أن الأمير فيصل سلم بأن فلسطين مستثناة من العهود التي قطعتها حكومة بريطانيا سنة 1915م للشريف حسين، وعلقت القبلة على ذلك "نحن نسدي خالص شكرنا لحضرة السيد عوني عبدالهادي على بياناته التي نعتقد أنها صدرت منه بباعث الغيرة والحرص على سلامة القضية التي يدافع عن شرفها كل عربي حميم تشرب روح التطلع إلى مجد أجداده العرب شم العرانيين"، ونلاحظ اتجاه العروبة بالتركيز على العرب وشرفهم وأمجادهم، وفي نهاية المقالة بينت القبلة بأن تشرشل تجرأ على فيصل برميه بهذه الرذيلة العارية عن أدنى شبهة، وأكدت بأن الحلفاء من حيث البراهين والحجج مقتنعون بحقوقنا ولكن الحجة والبرهان على الحق أصبحا لا اعتبار لهما في نظر سياسة القرن العشرين وإنما الاعتبار الأول للقوة[77].

وقبل انعقاد مؤتمر الصلح في12 كانون الثاني 1918م حرصت القبلة على تأكيد الوحدة ونبذ القطرية مبينة بأن الأمة تجمعها رابطة واحدة "القطر السوري أو الشامي كتلة واحدة تجمعها رابطة اللغة والعادات والأخلاق ووحدة التاريخ[78]وتوقعت القبلة: "بأن يكون مؤتمر الصلح بلسماً شافياً لكل المشاكل الدولية، وعلاجاً ناجحاً لكل الاختلافات الجوهرية"، وتصورت القبلة بأن المؤتمر سيهتم بأهم المبادئ وأعظمها وهو تحرير الشعوب[79].

وأوضحت القبلة بأن البلاد العربية الشمالية تتجلى فيها معاني الحياة الاجتماعية والنهضة القومية والجامعة الوثيقة، وبينت بأن الرأي العام في تلك المنطقة يترقب كل بادرة من بوادر السياسة ليصدر فيها حكمه[80]. وأشارت القبلة إلى أساليب الصلح عند العرب القدماء مبينة شروطه فالمجني عليه هو الذي يفرض هذه الشروط[81].

ولم تتسرع القبلة في الحكم على مؤتمر الصلح قبل أن تشهد نهايته وتبصر إلى ما ينتهي إليه الحال، ولكنها كانت تثق في الحلفاء لأنهم سيقومون بواجبهم لخدمة المبادئ العالمية، والغاية السامية، ولأن العرب أزهقوا دماءهم، ولكن القبلة تطمن نفسها بتصريحات الرئيس الأمريكي ولسن في المؤتمر، واعتماداً على تصريحات ولسن فقد عبرت القبلة بأن المؤتمر سيكون بلا ريب فاتحة لعصر جديد تسود فيه الألفة والاتحاد بين الدول كبيرها وصغيرها[82] .

وقد عبرت القبلة فيما بعد في هذا السياق بأن العالم يحترم القوي: "إن الحوادث تؤيد في هذا العصر أن الحق لا يسمع إلا إذا كانت القوة وراءه، وإن القوي إذا كذب قيل له صدقت وإذا صدق الضعيف قيل له كذبت، وعلى هذه القاعدة يجب أن ينسج العرب وبذلك لا بغيره ينجحون في قضيتهم نجاحاً مطرداً فقد أصبح الضعيف اليوم لا فرق بين أحلافه وأعدائه، بل يحكم عليه أحلافه بما لا يستطيعون أن يحكموا به على أعدائه، إذ إن أولئك الأعداء أقوياء لما وقع بالفعل على العرب من أحلافهم، الأمر الذي أجمع لحظة الدهر وعبر التاريخ ومحل كل ثقة واعتماد على الأقوال والعهود التي كان على اعتبارها مدار نظام العالم وأساس تبادل المصالح[83].

وحثت القبلة على الاستقلال التام، وبينت بأن احتلال سوريا قد "قطّع أوصال العرب فهاهم تراق دماؤهم، وتسلب أموالهم وتنتهك حرماتهم وتهتضم حقوقهم" وأوضحت بأن بريطانيا هي التي سلمت سوريا بكامل حدودها لقمة سائغة لفرنسا التي لم تهرق في سبيلها قطرة دم، فأصبح الخلاف صريحاً مع بريطانيا واتهام صريح للسياسة البريطانية بوقوفها إلى جانب فرنسا ضد العرب، وأكدت القبلة على الوحدة لأنها القاعدة في قوة العرب لاسترجاع حقوقهم[84] فواضح من القبلة تركيزها على القضية العربية والوحدة والاستقلال ونبذ الإقليمية والتجزئة.

وحثت القبلة العاملين في القضية العربية على وحدة الصف من أجل الوحدة العربية، بعد أن ظهرت القطرية في بعض الصحف وبينت أنها من الدسائس التي يراد بها تجزئة البلاد العربية، وأكدت القبلة بأن العرب قدموا تضحيات جسيمة في سبيل استقلال بلادهم، ولكن السياسة الغاشمة أبت إلا أن تجزئ أقطارهم وتعمل على استعبادهم، وبيّنت خطأ هذه السياسة لأنه ينتج عنها ثورات في كل من العراق وسوريا وفلسطين[85]

فالعرب: قوم إذا الشر أبدى ناجذه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

وتعود القبلة للتركيز على تاريخ العرب لاستنهاض هممهم لاسترجاع حقهم وعلقت القبلة على البرقيات الواردة من الجالية السورية في المهجر للملك حسين مطالبة بالقتال إلى جانبه فقالت: "لا

يستكثر مثل هذا على أبناء حروب" ذي قار والبسوس" وهذا الخلف النجيب امتاز على سلفه الحسيب بعظم مكانه وحماسته وشهامته وهممه بندائه من وراء ظلمات البحار"[86].

وتعود القبلة مرة أخرى إلى التركيز على الوحدة العربية والاستقلال والنخوة العربية، ففي افتتاحية القبلة في العدد (433) بينت بأن نهضة الحسين كانت من اجل النخوة والشهامة لتحقيق الوحدة العربية واستقلال بلاد العرب بحدودها المعلومة، وأن الحجاز استجاب لمستصر بني أبيهم في شمال الجزيرة ليرفعوا شأن أمتهم العربية المجيدة ويعلوا كعبها ويعيدوا مجدها التاريخي[87].

وركزت القبلة في هذه الفترة على الوحدة العربية والقومية والابتعاد عن الإقليمية، ففي افتتاحية لها بعنوان "وتواصوا بالحق" ركزت على الوطنية والقومية والعروبة، وأكدت أنّ كل عربي طاهر الوجدان لا يحمل أقوالنا إلا على أنها من قبيل التواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى في سبيل خدمة العرب والعروبة[88] بتركيزها على الوحدة العربية والقومية العربية، ونبذ الإقليمية.

وبعد شهر من احتلال الفرنسيين لسوريا وقعت انتفاضة حوران، وأشادت القبلة في افتتاحيتها في العدد (495) تحت عنوان (أولئك أقوامي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا (غوير) المجامع) بالعرب بعد حادثة الاعتداء على الجنرال غورو بقولها: "إيه بني يعرب إيه بني قحطان هذه والله صفاتكم وهذه والله شممكم وشعوركم أثبتموه رغماً عمن جردوكم من خصال آبائكم شم العرانيين ومزايا أجدادكم فخر الأولين والآخرين". فالقبلة تشيد بالعرب وبدفاعهم عن بلادهم.

وخاطبت غورو بأن هؤلاء أبناء الغافقي، ووصفت العرب بأنهم لا يقبلون الظلم ويدافعون عن الأوطان والديار[89].

واهتمت القبلة اهتماماً كبيراً بالأحداث في سوريا واتجهت في خطابها نحو العروبة، مبينة أن هذه الأحداث رمز للشهامة العربية، ومن شيم العدنانيين، ووصفت الذين يقاومون القوات الفرنسية بأنهم أحفاد واقعة "ذي قار" وحثتهم على الصبر والمثابرة "إيه بني قومنا فقد حفت الجنة بالمكاره وأن الأجر على قدر المشقة....إنكم لا تطلبون إلا حقيقة لا ينكرها إلا منكر في ضياء الشمس في رابعه النهار" ووصفت هذه الأحداث بأنها وصمة عار في تاريخ القرن العشرين[90].

خاتمة الدراسة:

بعد دراسة واقع النهضة العربية من خلال جريدة القبلة التي أسست على يد الشريف الحسين بن علي سنة 1334هـ/1916م، والتي تعتبر من أهم وثائق حركة النهضة العربية التي قادها شريف مكة، فقد خلصت الى النتائج التالية:

1- برهنت جريدة القبلة على الوعي السياسي القومي الذي كان يؤمن به شريف مكة ورجالات العرب من حوله، بل وجاءت لتحكي بصوت كل العرب الذين رفعوا راية الإصلاح والتغيير في المنطقة العربية، من أجل رص الصفوف العربية والإسلامية لتأسيس منهج جديد يقف بوجه الظلم والاضطهاد الذي اكتوت بنيرانه البلاد العربية برمتها من خلال تعسف وتطرف سياسة الاتحاديين في الدولة العثمانية.

2- عبرت جريد القبلة عن طموح العرب في التخلص من الاتحاديين الذي بالغوا في الإساءة إلى العروبة والإسلام، ووضعوا الدولة العثمانية بصورة غير مقبولة لدى كافة الاقطار العربية والإسلامية أيضا، إذ إن حركة النهضة العربية لم توجه ضد العثمانيين الذين خدموا العرب والمسلمين ومقدساتهم.

3- أكدت جريدة القبلة على الربط بين العروبة والإسلام، وجعلت رسالتها خدمة للعرب والمسلمين، على أن خدمة الإسلام في القبلة تأتي عن طريق نهضة العرب ومجدهم وعزتهم، وقد أكد الشريف الحسين بن علي أن القومية العربية تتماشى مع الإسلام، بعكس القومية الطورانية التركية التي تسعى إلى استبعاد الآخرين.

4- اعتزاز جريدة القبلة بالعروبة، وحفلت صفحات جريدة القبلة بالتأكيد على العروبة وعلى الاتجاه القومي، وتحقيقا لذلك فقد نشرت الجريدة رسالة عنوانها "نيل الأرب في فضل العرب"، على شكل سلسلة حلقات جمع فيها مؤلفها جميل العظم ما روي في كتب السنة وكلام الأئمة في فضل العرب.

5- تمجيد تاريخ العرب وحضارتهم، معتبرة الأمة العربية ذات أمجاد تاريخية خالدة ينبغي تقديرها واحترامها، كما حثت القبلة العرب على المحافظة على لغتهم العربية، مفاخرة بتلك اللغة، كونها لغة القرآن الكريم، وهي المعبرة عن مشاعر الأمة العربية الصادقة.

6- ولفتت جريدة القبلة انتباه العرب تجاه العمل على التحلي بالأخلاق الحميدة والمثابرة لتصل الأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية، وجعلت من تطور العلوم الوسيلة الأساسية إلى تقدم وازدهار وتطور المجتمعات العربية.

Arab Renaissance: A study in the Arab Nationalism According to Al Qibla Newspaper (1334-1343AH) (1916-1924AD)

Ahmad Al-Jawarneh and **Jabr Al Khatib**، *Department of History، Yarmouk University، Irbid، Jordan.*

Abstract

Al Qibla newspaper that had been issued in Al Hijaz on behalf of the Renaissance order of Sharif Hussein bin Ali، played a prominent and unique role in the dissemination of religious and national awareness in the Arab sector in the early twentieth century،and therefore، this study seeks to answer many of the following questions:

1- How the newspaper employed the link between Arabism and Islam in order to raise awareness of the Arab national and religious?

2- What are the motives that prompted the newspaper to connect the old Arab history and the way to the great Arab revolt?

3-Why have Al Qibla some highlight the glory of the Arabs with the assertion that Arabism is not inconsistent with the spirit of Islam?

قدم البحث للنشر في 2008/8/31 وقبل في 2009/6/16

الهوامش

(1) سورة البقرة، الآية 143.

(2) تذكر الوثائق البريطانية أن الشيخ فؤاد الخطيب اقترح مشروعاً لإصدار جريدة في مكة بغرض ترويج القضية العربية وشرح قضية العرب ضد الأتراك، ولإظهار ارتباط مصالح الإسلام بمصالح الحلفاء، واعتبر المندوب السامي هذا المشروع ناجحاً، وقدم استعداده للمساعدة في ذلك، انظر نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، دار الساقي, بيروت, م2، ص339.

(3) روست الجريدة في العدد الثاني وما بعده بشعار "جريدة لخدمة الإسلام والعرب"، القبلة، العدد 2، الخميس (8 شوال 1334هـ) 18 آب 1916م، ص1، ولم يحمل العدد الأول هذا الشعار.

(4) القبلة، العدد 2، ص 1.

(5) القبلة، العدد 1، الاثنين (15 شوال 1334هـ) 15 آب 1916م، ص1.

(6) القبلة، العدد 13، الاثنين (28 ذي القعدة 1334هـ) 28 أيلول 916م، ص1.

(7) القبلة، العدد 1، الاثنين (15 شوال 1334هـ) 15 آب 1916م، ص1.

(8) القبلة، العدد 2، الخميس (8 شوال 1334هـ)18 آب 1916م، ص1.

(9) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) و(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)، سورة المائدة، الآية 44، 45، 47.

(10) القبلة، العدد 11، الخميس (18 شوال 135هـ)21 نيسان 1916م، ص1.

(11) عبدالعزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، دار المستقبل، القاهرة، 1985م، ص275-276،

(12) القبلة، العدد 2. ص1.

(13) القبلة، العدد 110، الخميس (19 ذي القعدة 1335هـ) أيلول 1917م, ص2، وهذا الخطاب يذكرنا بالمقابلة التي كانت بين الشريف حسين والسلطان عبد الحميد الثاني حينما عين الشريف أميراً على مكة، فقد تخوف السلطان والشريف من خروج جمعية الاتحاد والترقي عن الشرع الإسلامي وتهديدها للسلطان.

(14) القبلة، العدد 56، الاثنين (4 جمادى الأولى 1335هـ) شباط1917م، ص3، هذا الخطاب كان إمام علماء المدينة المنورة الذين هربوا منها إلى مكة وشكوا للشريف أعمال الاتحاديين.

(15) القبلة، العدد 56 ص1.

(16) القبلة، العدد 65، الخميس (6 جمادى الثانية 1335هـ) آذار 1917م، ص2.

(17) القبلة، العدد 65، الخميس (6 جمادى الثانية 1335هـ) آذار 1917م، ص1.

(18) القبلة، العدد 52، الاثنين (19 ربيع الثاني 1335هـ) شباط 1917م، ص1، مقالة لمحب الدين بن الخطيب مدير الجريدة.

(19) القبلة، العدد 168، الاثنين (18 جمادى الثانية 1336هـ) اذار 1918م، ص1.

(20) القبلة، العدد 101، الاثنين (18 شوال 1335هـ) آب 1917م، ص1.

(21) القبلة، العدد 4، (25 شوال 1334هـ) 25 آب 1916م، ص1، والمقالة تحت عنوان "مكانة العرب في الإسلام".

(22) القبلة، العدد 200، (17 شوال 1336هـ) تموز 1918م، ص1.

(23) سورة آل عمران، الآية (11).

(24) عبد الله بن الحسين: المذكرات، ص27-28.

(25) علي الغاياتي: صحفي عربي كان مراسل لجريدة المستقبل التي كانت تصدر في باريس، انظر خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908- 1918 م، بيروت 1973 م، ص339.

(26) القبلة، العدد 51، الخميس (15 ربيع الثاني 1335هـ) 9 شباط 1917م، ص2.

(27) القبلة، العدد 723، الخميس (2 ربيع الأول 1342هـ)27 آيلول 1923م، ص2، وكان هذا الجواب موجهاً إلى كل من محمد علي، شوكت علي، والأنصاري.

(28) القبلة، العدد 2، الخميس (18 شوال 1334هـ) 18 آب 1916م، ص4.

(29) القبلة، العدد نفسه.

(30) جميل العظم: أديب سوري ولد في الأستانة 1873- 1933 م، واستقر في دمشق بعد ولادته بخمس سنوات عرف باهتماماته الأدبية واللغوية والتاريخية، تولى بعض الأعمال الحكومية في بيروت ودمشق وأصدر مجلة البصائر السورية. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، دار العلم، بيروت، 1979م، ص 638.

(31) كتب هذه الرسالة جميل العظم، وفيها اقتباسات من الحافظ العراقي ومن ابن المقفع وابن قتيبة ومما ورد عن الرسول ﷺ قوله: "أحب العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي" وبغضهم كفر من أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد ابغضني". وقوله ﷺ "من غش العرب لم يدخل شفاعتي ولم ينله مودتي، وقوله ﷺ: "من سب العرب فاؤلئك هم المشركون". وبقاء العرب نور الإسلام، وإذلال العرب ذل الإسلام". و"هلال العرب من أشراط الساعة". انظر القبلة، ع11، الاثنين (12 ذي القعدة 1334هـ) أيلول 1916م، ع12 (24 ذي القعدة 1334هـ) أيلول 1916م، ع 13 (28 ذي القعدة 1334هـ) 27 أيلول 1916، ع14 ذي الحجة 1334هـ) 29 أيلول 1916م، والعدد (16 ذي الحجة 1334هـ). والعدد 569، الخميس (17 رجب 1340هـ) 16 آذار 1922م، ص1.

(32) القبلة، العدد 569، الخميس (17 رجب 1340هـ) 16 آذار 1922م ص1، الافتتاحية (العربية والشعوبية).

(33) القبلة، العدد 297، الخميس (12 شوال 1337هـ) 1 تموز 1919م، ص 2.

(34) القبلة العدد 21 الخميس (29 ذي الحجة 1334 هـ) 27 آيار 1916م، ص2

(35) القبلة، العدد 30، الاثنين (غرة صفر 1335هـ) 28 تشرين الثاني 1916م، ص1.

(36) وعلى سبيل المثال فقد استأذن قمبيز الفارسي (مع موادعة العرب للفرس) العرب في اجتياز بلادهم عندما زحف على مصر، وكذلك الاسكندر الأكبر فقد هابته الأمم إلا العرب، انظر القبلة العدد 19، الخميس (22 ذي الحجة 1334هـ)، ص1.

(37) القبلة، العدد 18، الاثنين (19 ذي الحجة 1334هـ) تشرين الأول 1916م، مقال للشيخ فؤاد الخطيب ص1.

(38) القبلة، العدد 82، الاثنين (7 شعبان 1335هـ) حزيران 1917م، ص1.

(39) القبلة، العدد نفسه.

(40) القبلة، العدد 83 (10 شعبان 1335هـ) حزيران 1917م، ص1، خطبة الحكومة الهاشمية في يوم الاستقلال، ألقاها الأمير عبد الله بن الحسين، وفي هذا المعنى ايضاً العدد 241، الاثنين (16 ربيع الأول 1337هـ) 1918م، الافتتاحية (نصرة الله لا سواها أقامت لبني العرب دولة وفخاراً) ص1.

(41) القبلة، العدد 363، الخميس (13 جمادى الثاني 1338هـ) 14اذار1920م، ص1.

(42) القبلة، العدد 21، الخميس (19 ذي الحجة 1334هـ)26 أيار 1916م، ص2، وفي هذا السياق في مقال آخر بعنوان (العربية والعرب) أكدت القبلة جمال اللغة العربية وصمودها أمام عوادي الزمن، وحث المقال العرب على تأكيد لغتهم وتنقيتها من الشوائب باعتبارها أحد أركان حضارتهم وقوميتهم، انظر القبلة، العدد 14 (غرة ذي الحجة 1334هـ) ص1.

(43) القبلة العدد 270 الخميس (2 رجب 1337 هـ) 3 نيسان 1919م، ص1.

(44) القبلة، العدد 21، الخميس (29 ذي الحجة 1334هـ) 26 نيسان 1916م، ص1.

(45) القبلة، العدد 220، الخميس (4 المحرم 1337هـ) 8/تشرين الاول 1918م، ص2.

(46) القبلة، العدد 157، (10 جمادى الأولى 1336هـ)، ص1.

(47) القبلة، العدد 184، (17 شعبان 1336هـ) 24 أيار 1918م، ص1.

(48) القبلة، العدد 220 (4 محرم 1337هـ) 8 تشرين الأول 1918م، مقال افتتاحي بعنوان إيضاحات مولانا صاحب الجلالة الهاشمية، ص1.

(49) حول ذلك انظر القبلة، العدد 49، الخميس (8 ربيع الثاني 1335 هـ) اشباط 1916م والعدد 52، الاثنين (19 ربيع الثاني 1335 هـ) 12 آذار 1916م، والعدد 54، الاثنين (26

ربيع الثاني 1335هـ) آذار 1916م، والعدد 63، الخميس (جمادى الأولى 1335هـ)، والعدد 65، الخميس (6 جمادى الثانية 1335)، والعدد 94، الاثنين (20 رمضان 1335) تموز1917م، والعدد 98، الخميس (7 شوال 1335) تموز 1917م، ص2.

(50) القبلة، العدد 17، الخميس (15 ذي الحجة 1334هـ)، ص1، وفي هذا السياق أشارت القبلة إلى أن النهضة قامت باسم العرب ومن أجل العرب وأنه لعار على كل عربي تقله الأرض وتظله السماء أن يكون بمعزل عنها ولا يدلو بدلوه ولا يضرب فيها بسهم، انظر القبلة، العدد 70، الاثنين (24 جمادى الثانية 1335هـ)، ص1، وفي هذا السياق أيضاً انظر العدد 103، الاثنين (4 صفر الخير 1336هـ) ص1.

(51) القبلة 220 (4 محرم 1337) ص1.

(*) ويقصد بها منطقة الطفيلة في الأردن حينما كان الأمير فيصل متجهاً نحو دمشق.

(52) القبلة، العدد 156، الاثنين (7 ربيع الثاني 1336هـ)، ص1.

(53) القبلة، العدد 529، الخميس (25 صفر 1340هـ)1 كانون الأول 1921م، ص1.

(54)القبلة، العدد 220، الخميس (4 محرم 1337هـ) 8/تشرين الاول 1918م، ص1.

(55) القبلة، العدد 138، الخميس (20 صفر 1336هـ) 7 كانون الثاني1917م، ص1. وكرر الملك في هذا المعنى في خطابه في العدد 722 الاثنين (19 ربيع الأول 1342هـ) 24 أيلول 1923م، ص1، والعدد 737 (ربيع الثاني 1342هـ) 15 تشرين الثاني 1923م. وكان الملك فيصل يردد دائماً قوله: "أنا عربي قبل أن أكون مسلماً"، انظر: علي راغب حيدر أحمد: مجلة العرفان ونظرتها إلى التاريخ 1909- 1960م. جامعة القديس يوسف، بيروت، 2000م، ص 96.

(56) القبلة، العدد 52 (الاثنين (19 ربيع الثاني 1335هـ) 16 شباط 1917م، ص1.

(57) القبلة، العدد 53، الخميس (22 ربيع الثاني 1335هـ)17 شباط 1917م، ص2-3.

(58) جرجي حداد هو ابن سارة اليازجي، الذي أنشأ في سان باولو (البرازيل) جريدة القلم الحديدي، عام 1913م، انظر سعد أبو دية، الفكر السياسي في قصائد الثورة العربية الكبرى (مجلة المؤرخ) العدد 44، 1991، ص 14.

(59) القبلة، العدد 52، الاثنين (19 ربيع الثاني 1335هـ)16شباط1917م, ص2، ونشرت مقالات أيضاً لخليل مطران ورفيق رزق سلوم وغيرهم من الشعراء والكتاب وكانت القبلة تهتم بالجاليات العربية في المهجر حول ذلك انظر: القبلة العدد 107، الاثنين (29 ذي القعدة 1335هـ) ص2.

(60) وهو من الشعراء العرب المسيحيين في أمريكيا، انظر، القبلة، العدد 52، ص 3.

(61) القبلة، العدد 220، الخميس، (4 محرم 1337) 8 تشرين الأول 1918م، ص1.

(62) القبلة، العدد 223، الاثنين، (15 محرم 1337) 20 تشرين الاول 1918م، ص1.

(63) القبلة، العدد 270، الخميس (2 رجب 1337) 3نيسان 1919م، الافتتاحية (ظلال الآمال)، ص1.

(64) القبلة، العدد 305، الخميس (10 ذي القعدة، 1337)، ص2.

(65) القبلة، العدد 306، الاثنين (14 ذي القعدة، 1337)، ص1.

(66) القبلة، العدد 334، الاثنين (1 ربيع الأول، 1338) 14 تشرين الثاني 1919م، ص1.

(67) القبلة العدد 234، الخميس (23 صفر 1337) 27 تشرين الثاني 1918م، الافتتاحية، ص1.

(68) القبلة العدد 307، الخميس (17 ذي القعدة 1337) الافتتاحية (واجبات القومية والوطنية)، ص1.

(69) ولا شك بأن القوميين السوريين الذين كانوا حول الملك حسين كان لهم أثر في إظهار القومية والوطنية في جريدة القبلة، فالشريف حسين هو الذي كان يشرف على جريدة القبلة وسياستها وإدارتها وله العديد من المقالات لم تذكر باسمه وخاصة افتتاحيات الجريدة التي لم يذكر اسم كاتبها، حول ذلك انظر خير الدين الزركلي ما رأيت وما سمعت، المطبعة العربية، مصر، 1923م، ص135؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، نادي مكة الثقافي,مكة المكرمة، 1984م، ص239. وكان مديرو جريدة القبلة من المتنورين العرب فأول مدير للجريدة كان محب الدين الخطيب الذي ظهر اسمه في العدد الثاني، انظر القبلة، العدد 2، الخميس (18 شوال 1334) 18 آب 1916م، ص1، حسن الصبان وكان يقيم في مكة المكرمة.

(70) سهيلة الريماوي: جانب من فعاليات محب الدين الخطيب (مجلة دراسات تاريخية، العدد 33، 34)، 1989، ص32-33.

(71) القبلة، العدد 279، الاثنين (5 شعبان 1337) آيار 1919م، ص1.

(72) القبلة، العدد 299، الخميس (19 شوال 1337) 17 تموز 1919م، ص1.

(73) القبلة، العدد 308، الاثنين (21 ذي القعدة 1337) ص1.

(74) القبلة، العدد 242، الخميس (22 ربيع الأول 1337) 26 كانون الأول، 1919م، ص1.

(75) القبلة، العدد 613، الاثنين (5 محرم 1341) 27 آب 1922م، ص1.

(76 للمزيد عن دور عوني عبدالهادي في الحركة العربية، انظر شهناز أحمد فلكي: عوني عبدالهادي ودوره في الحركة العربية، (1909-1939م)، رسالة ماجستير، اليرموك، 1999م.

(77)القبلة، العدد 614، (الخميس 8 محرم 1341) 31 آب 1922م، ص2.

(78) القبلة، العدد 250، الخميس (21 ربيع الثاني 1337) 6 شباط 1919م، ص1، الافتتاحية (الوحدة السورية).

(79) القبلة، العدد 235، الاثنين (27 صفر 1337) 2 كانون الأول 1918م، ص1.

(80) القبلة، العدد 262، الخميس (4 جمادى الثانية 1337) 4 آذار 1919م، ص1.

(81) القبلة، العدد 345، الاثنين (4 ربيع الثاني 1337) 2 كانون الثاني 1920م، ص1.

(82) القبلة العدد254، الخميس(5 جمادي الاولى 1337) 16 شباط 1919م.

(83) القبلة, العدد 614، الخميس (8 محرم 1341) 30 آب 1922م، ص1

(84) القبلة، العدد 433، الاثنين (4 ربيع الأول 1339) 5 تشرين الثاني 1920م، ص1.

(85) القبلة، العدد412، الاثنين (18ذي الحجة 1339) 1 أيلول 1920م، ص1

(86) القبلة، العدد465، الخميس (30 جمادي الثانية 1339) 10 آذار 1921م، ص1

(87) القبلة، العدد 443، الخميس (13 ربيع الثاني 1339) 27 كانون الأول 1920م، ص1.

(89)القبلة، العدد495، الاثنين (31 شوال 1339) 15 آيار 1922م، ص1.

(90) القبلة، العدد 585، الخميس (14 رمضان 1334) أيار 1922م، ص1.

المصادر والمراجع

جريدة القبلة

الدوري، عبدالعزيز. (1985). **التكوين التاريخي للأمة العربية**، القاهرة: دار المستقبل.